

## موقف الحداثيين من تأسيس الشافعي لمصدرية السنّة نصر حامد أبو زيد أنموذجا عرض و نقد.

بقلم

مصطفى حنانشة      أ. د/ مصطفى حميداتو  
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

mostafa60@hotmail.com      abomohamedhanancha@gmail.com

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الهادي إلى الصراط المستقيم و الفاتح بعلمه على المتقين ،  
والصلاة و السلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد إلى يوم الدين، أمّا بعد فدراسة  
الفكر الحداثي و نظرتة للعلوم الإسلاميّة قضية ضرورية و حساسة و خاصة إذا كانت  
وحيا من الله تعالى، و هي أحد مصادر التشريع التي تمثل ركنا حصينا للمسلمين  
دينهم و وثقافتهم حاضرهم و مستقبلهم، لهذا أردت المساهمة في هذا الملتقى المبارك  
بموضوع وسمته: رؤية الحداثيين للإمام الشافعي، الدكتور نصر حامد أنموذجا-  
وحيية السنّة و ثبوتها تطبيقا عرض و نقد-

- أهمية موضوع البحث: تكمن أهمية البحث في:

- الرّدّ على الفكر الحداثي الذي غزا مجالس عمّة النّاس، و أصبح خطره كبيرا و شرّه  
مستطيرا.

- إظهار ضعف حجج الحداثيين الذين أظهرهم الإعلام على أنّهم يملكون ناصية  
الفكر و أنّهم كبار يصعب مناقشتهم و أنّهم يملكون علوما عديدة مكنتهم من خوض  
غمار نقاش الحضارة الإسلاميّة جميعها.



-إظهار مكانة الإمام الشّافعي و أصالة أقواله، و صوابية أقوال علماءنا، وانضباطها وفق منهج نقلي عقلي رصين.

- إشكالية البحث : لما كان الإمام الشّافعي -رحمه الله- قد ساهم في جمع وتنظيم وترتيب الفكر الإسلامي الجمعي للأمة، وهو المنظر الأبرز للوسطية في الفكر الإسلامي، فقد توجهت سهام التّقد من كلّ مخالف له لما يحضى به هذا الإمام عند الأمة جميعها من مكانة و قيادة، فحُبّكت حوله الشّبهات منذ القديم، وأعاد إحياء هذه الشّبهات التيار الحداثي، الذي يضمّ في طياته مدارس مختلفة لكنهم متفقون على استحالة التّأصيل الذي أسس له الإمام الشّافعي سواء في وحيّة السنّة أو طرق ثبوتها أو أصول الفقه أو عربية القرآن وغيرها من المباحث الأساسيّة لمصادر التشريع الإسلامي، ولما كان الحداثيون يسعون سعيا حثيثا لإبطال التّحاكم للشريعة وإثبات تاريخيتها إن سلمت في الوصول إلينا كما يزعمون، وعدم وحيّة و عدم صلاحية أصول الفقه و مناهج الفقهاء للتطبيق المعاصر، كان التّعرض للقدوات العليا في الإسلام وهدمها أنفع لهم من التّعرض لآحاد العلماء، و على رأس هؤلاء القدوات الكبار إمامنا الشّافعي، ومن هنا كان الهدف من هذه المداخلة محاولة التّوضيح لماهية الحداثة، وبيان الرّؤية التي أطلقها الحداثيون حول الإمام الشّافعي في نقطتين فقط و هما وحيّة السنّة و ثبوتيتها، و كيف ناقش الحداثيون الإمام الشّافعي في حججه؟ و كيف ردّوا عليه؟ و هل ردودهم قوية؟ واتخذت أنموذجا واحدا يمثلهم، الذي ألف كتابا خاصّا بمناقشة الإمام الشّافعي عرضت أقواله و أدلته و ناقشته فيها واحدا واحدا.

وتطرح هنا عدة أسئلة: هل تأصيلات الإمام الشّافعي جاء جمعا و ترتيبا و بيانا لكلام من سبقه، أم ابتداعا و مخالفة و شذوذا؟ و هل حجج الحداثيين قوية و مناقشاتهم

عليها صبغة التجرد العلمي و الإنصاف؟ هل مناهج العلوم عند المسلمين تسندها الحجج العقلية كما تسندها الحجج النقلية؟  
و للإجابة عن هذه الأسئلة و غيرها اتبعت الخطة التالية التي أرها كفيلة بالإجابة عن تلك الأسئلة.

- خطة البحث (العناوين الرئيسية):

المبحث الأول: تعريفات

المطلب الأول: الإمام الشافعي .

المطلب الثاني: د.نصر حامد أبو زيد.

المطلب الثالث: مفهوم الحدائنة.

المبحث الثاني: وحيية السنة و ثبوتيتها بين الإمام الشافعي و الحدائنين.

المطلب الأول: موقف الحدائنين من السنة عموما.

المطلب الأول: وحيية السنة بين الإمام الشافعي و الحدائنين.

المطلب الثاني: ثبوتية السنة بين الإمام الشافعي و الحدائنين.

الدراسات السابقة:

مقال تحت عنوان المذهب النقدي عند الدكتور نصر حامد و موقفه من الاحتجاج بالسنة رؤية نقدية، لعلي صالح مصطفى. هذا درس منهج أبو زيد النقديو بينه و بين تأثره بمن سبقه من الغربيين وكيف يستعمل منهجه لنقد التراث و بين التلفيق الذي يحمل هذا المنهج. و أنا لم أتعرض لمنهجه لأنّ المداخلة لا تسمح بنقاش المنهج و الأدلة التي اوردها ردا عن الإمام الشافعي.



الحداثة و موقفها من السنة، د. الحارث فخري، رسالة دكتوراه تعرضت للحداثيين بصفة عامة. أما الكتب المؤلفة الأخرى فهي محاكمات لفكر أبو زيد عموما و منها جزئية السنة كتقرير الدكتور عبد الصبور شاهين رحمه الله و رد محمد البلتاجي و غيرهما و قد تعرضا لكامل كتابه من ردهم عنه فيما يخص القرآن و القياس و الإجماع و مفهوم النص و أدلجته المنهجية في علاج القضايا الشرعية.

أما دراستي فكانت منصبه عن النقاط التي اعتمدها أبو زيد في الرد على الإمام الشافعي خصوصا في وحيية السنة و ثبوتها و ناقشته نقطة نقطة.

### المبحث الأول: تعريفات.

#### المطلب الأول: الإمام الشافعي

الإمام الفقيه هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، و يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي.<sup>1</sup>

وُلد الشافعي بغزة بفلسطين، سنة خمسين ومائة من الهجرة، وهو العام الذي توفّي فيه الإمام أبو حنيفة (رحمه الله).<sup>2</sup> مات أبوه إدريس شاباً، فنشأ محمدٌ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة، فتحولت به إلى محبته وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على الرمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يُصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك، وتقدم، ثم حُبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص 66.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 67.

<sup>3</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي ج 10 ص 6.

قال إسماعيل بن الحبال الحميري: كان محمّد بن إدريس الشّافعي رجلاً شريفاً، وكان يطلب اللغة والعربية والفصاحة والشعر في صغره، وكان كثيراً ما يخرج إلى البدو ويحمل ما فيه من الأدب، فبينما هو ذات يومٍ في حي من أحياء العرب إذ جاء إليه رجلٌ بدوي، فقال له: ما تقول في امرأةٍ تحيض يوماً، وتطهر يوماً؟ فقال: "لا أدري"، فقال له: يا ابنأخي، الفضيلةُ أولى بك من النافلة، فقال له: "إنما أريد هذا لذلك، وعليه قد عزمت، وبالله التوفيق، وبه أستعين"، ثم خرج إلى مالك بن أنس، وكان مالكٌ صدوقاً في حديثه، صادقاً في مجلسه، وحيداً في جلوسه، فدخل عليه، وارتفع على أصحابه، فنهزه مالكٌ، فوجده موقراً في الأدب، فرفعه على أصحابه، وقدمه عليهم، وقربه من نفسه، فلم يزل مع مالكٍ إلى أن توفي مالكٌ رحمه الله، ثم خرج إلى اليمن؛ ليكمل مسيرة طلب العلم<sup>1</sup>، وكان قوي الحفظ قال إسماعيل بن يحيى: سمعت الشّافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين<sup>2</sup>، مع سعة العلم قال أبو ثور: كتب عبدالرحمن بن مهدي إلى الشّافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ، فوضع له كتاب (الرسالة)<sup>3</sup>؛

**شيوخ الإمام الشّافعي:** أخذ الشّافعي العلم عن أشهر علماء زمانه، وجمع بين مختلف المدارس الموجودة في ذلك الزمان مما يعطي بعد ذلك قدرة عن فهم و حوار كل المدارس، بمكة عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وداود بن عبدالرحمن العطار، وعمه محمّد بن علي بن شافع، وسفيان بن عيينة، وعبدالرحمن بن أبي بكر المليكي، وسعيد بن سالم، وفضيل بن عياض، وآخرين. وفي المدينة، أخذ العلم عن

<sup>1</sup> حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج 9 ص 81).

<sup>2</sup> تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 2 ص: 63.

<sup>3</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي ج 10 ص 44.



مالك بن أنس، وإبراهيم بن أبي يحيى، وعبدالعزیز الدراوردي، وعطاف بن خالد، وإسماعيل بن جعفر، وإبراهيم بن سعد، وطبقتهم. وأخذ العلم باليمن عن: مطرف بن مازن، وهشام بن يوسف القاضي، وطائفة. وأخذ العلم ببغداد عن: محمد بن الحسن، فقيه العراق، ولازمه، وعن إسماعيل ابن عُلَيَّْة، وعبد الوهاب الثقفي، وآخرين.<sup>1</sup>

**تلاميذ الإمام الشافعي:** وشهرة الإمام تجعل أئمة عصره يتشرفون بالتلمذ على يديه فمنهم الحميدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وسليمان بن داود الهاشمي، وأبو يعقوب يوسف البويطي، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وحرملة بن يحيى، وموسى بن أبي الجارود المكي، وعبدالعزیز المكي صاحب "الحيدة"، وحسين بن علي، وإسحاق بن راهويه، ويونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان المرادي، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وبحر بن نصر الخولاني، وآخرين سواهم.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: د. نصر حامد أبو زيد

ولد نصر أبو زيد في إحدى قرى طنطا في 10 يوليو 1943، ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، في البداية لم يحصل على شهادة الثانوية العامة التوجيهية ليستطيع استكمال دراسته الجامعية، لأن أسرته لم تكن لتستطيع أن تنفق عليه في الجامعة، لهذا اكتفى في البداية بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية قسم اللاسلكي عام 1960 م. حصل نصر علي الليسانس من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة 1972 م بتقدير ممتاز، ثم ماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام 1976 م وأيضا بتقدير ممتاز، ثم دكتوراه من نفس القسم والكلية في

<sup>1</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي ج 10 ص 6:7.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ج 10 ص 8:7.

الدراسات الإسلامية عام 1979 م بتقدير مرتبة الشرف الأول يشغل نصر حامد أبو زيد عدة وظائف آخرها أستاذ بعدة جامعات.

**وفاته:** عاش الدكتور نصر أبو زيد في هولندا، و قبل أسبوعين من وفاته عاد الدكتور نصر إلى مصر بعد 15 عاما من خروجه منها إثر الحكم برده وتفريقه عن زوجته، من زيارة لأندونيسيا، إثر إصابته بفيروس غريب فشل الأطباء في تحديد طريقة علاجه، ودخل في غيبوبة استمرت عدة أيام حتى فارق الحياة صباح الاثنين 5 جويلية 2010 التاسعة صباحا في مستشفى زايد التخصصي، وتم دفنه في مقابر أسرته بمنطقة قحافة بمدينة طنطا بعد صلاة العصر.

### أعماله:

أ- **الكتب:** إذا ما تأملنا كتب نصر حامد ألفيناها تتصل بمحاور أربعة، وهي قضية تكفيره ومفهوم التراث وآليات القراءة البناءة وبنية الخطاب الديني والمفاهيم التي تدور في فلكه (التأويل، النص،....).

1- ففيما يتعلق بالمحور الأول رأى نصر حامد أبو زيد أن ما حدث معه يُعدّ مثالا دالا على الصراع القائم بين القوى الرجعية المسيطرة على الخطاب الديني والفكر الحرّ، ولذلك لم يسرد وقائع محاكمته بقدر ما ركّز على طبيعة العلاقة القائمة بين الفكر التقليدي والفكر الحرّ كاشفا عن آليات اشتغال الفكر الانغلاقية الذي يسارع دائما إلى تصفية الخصوم والمخالفين له في الرؤية من خلال التكفير وتحريض الرأي العام باسم الانتصار للإسلام وحمائته دون أن يحاول فتح حوار بناء مع الفكر المغاير، وفي ذلك دلالة قاطعة على دغمائية الفكر الأصولي، وهو ما عبّر عنه في "التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيغ والخرافة" وكتاب "القول المفيد في قصة أبو زيد

2- المحور الثاني بين الدكتور أن التراث اسم جامع لمجالات معرفية متعدّدة،



وذلك ما دفعه إلى تنويع مجالات البحث في مؤلفاته التي ارتبطت بقضايا "اللغة" و"النقد" و"البلاغة" و"العلوم الدينية". وقد كانت الغاية من تناول تلك القضايا الكشف عن الروابط الخفية بين مختلف الدوائر المعرفية، وهو ما تجلّى في:

- الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة. - هكذا تكلم ابن عربي.

3- المحور الثالث: تحدث الدكتور عن آليات اشتغال الخطاب الديني. وكيف تحوّل الفكر الديني من فكر حرّ إلى فكر منغلق يرفض الانفتاح على الواقع ويسعى دائماً إلى كبح جماح العقل البشري من جهة، ومن جهة أخرى حلّل واهتمّ بمحاولات مفكّرين معاصرين أمثال أدونيس وحسن حنفي ومواقف تيارات فكرية مثال اليسار الإسلامي محاولاً من خلال تلك الأمثلة الوقوف على مسلمات القراءات المعاصرة التي رامت تفكيك الخطاب الديني محدداً أسباب فشلها، وذلك في:

نقد الخطاب الديني، الخطاب الديني رؤية نقدية، الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية.

دوائر الخوف: دراسة في خطاب المرأة. التجديد والتحرير والتأويل. اليسار الإسلامي: إطلالة عامة.

العنف الأصولي: نواب الأرض والسماء (بالاشتراك مع آخرين).

4- المحور الرابع رسم الدكتور نصر حامد أبو زيد آليات القراءة البنّاءة التي تحرر النصوص والإنسان من سلطة الأوصياء ومن مقالة امتلاك الحقيقة المطلقة، وهي إشكاليات متشابكة حللها في:

فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي. إشكاليات القراءة



وآليات التأويل.

الخطاب والتأويل. النص السلطة الحقيقة: إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة. دراسات أدبية مفهوم النص دراسة في علوم القرآن.

ب- المقالات: تجاوزت مقالات نصر حامد الخمسين مقالا، وهي تتوزع على النحو الآتي:

-حوالي ثلاثين مقالا كُتِبَ باللغة العربية (نشرها في جرائد ومجلات محكمة وغير محكمة مثل فصول المصرية، الكرمل الفلسطينية، الأدب المصرية، الهلال المصرية، مجلة العربي الكويتية، جريدة الحياة اللندنية، ....)

-خمسة وعشرون مقالا كُتِبَ بالإنجليزية صدرت منها خمسة مقالات ضمن الموسوعة القرآنية، إشراف جان ماكيليف، دار بريل، ليدن هولندا. وتتوزع المقالات إلى ثلاثة أصناف:

1- مدار الأول على مباحث لا صلة لها بقضايا الفكر الديني، ويتكوّن هذا الصنف من مقالات ثلاث، وهي:

-أزمة الأغنية المصرية، مجلة الأدب، القاهرة مصر، مج 9، ع 7، 1964، ص 406-408.

-الفوازير: وظيفتها وبنائها اللغوي، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة مصر، ع 18، مارس 1978، ص ص 60-66.

-الرؤيا في التراث السردى العربى، مجلة فصول، القاهرة مصر، ديسمبر 1994.

2-الصنف الثاني فيعدّ امتدادا لما أُلّف من كتب بالنظر إلى وقوف نصر حامد في تلك المقالات على بعض أعلام الفكر الإسلامى الذين سبق وأن تناول بالدرس

أفكارهم ورؤاهم في بعض مؤلفاته (محاولة قراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي، مجلة الهلال، القاهرة مصر، ماي 1992 .

3- الصنف الثالث يتناول نصر حامد أعلاما ومفكرين لم يُعرج على أفكارهم في مؤلفاته (محمد شحرور، محمد جابر الأنصاري، أحمد صادق سعد<sup>1</sup>. ومن أراد قراءة نقده من قبل كثير من العلماء و المفكرين فليطالع باختصار و وأقتصر على كلمة - الشيخ محمد الغزالي: بأنه كويفر مخمور مغرور، يتعثّر في بديهيّات التاريخ، ثم يناطح الجبال الشم. " قال الشيخ: "أزعجني جرأة الجهّال على الإسلام، ثم نجاتهم من عُقبى التطاول... كنتُ أعرف أنّ هناك حملة أقدام لا إيمان لهم، لكنّي لم أكنُ أعرف أنهم يكرهون الله ورسوله - ﷺ - على هذا النحو"،<sup>2</sup>

### المطلب الثالث: مفهوم الحداثة:

-الحداثة :لغة: مشتقة عربيا من الفعل حدث بمعنى وقع حدث الشيء ويحدث حدوثا ، وحدث الأمر أي وقع وحصل ، وأحدث الشيء أو جده ، والمحدث هو الجديد من الأشياء<sup>3</sup>. ويشتق منه كذلك نتحدث حديثا أي تكلم ، ومنه الحدوث ما حدث يحدث حدوثا أي وجد بعد أنّ لم يكن . والحديث مقابل القديم .أو ظهور شيء مستجد غير مألوف ومنه المحدثات<sup>4</sup>.

اصطلاحًا : نظرا لاختلاف الرّؤي والمواقف والآراء بين المفكرين والباحثين حول الأصول التاريخية لهذا المصطلح ؟و الظروف التي أحاطت بنشأته و تطوره .لهذا تعددت التعريفات ولعل أجمع التعاريف:«الحداثة حركة فكرية حديثة وشاملة

<sup>1</sup><http://www.mominoun.com/articles//D>

<sup>2</sup><http://www.alukah.net/sharia/0/23894/#ixzz5NZelyMEk>

<sup>3</sup> لسان العرب ، لابن منظور : 131/2 ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت لبنان ، 1955.

<sup>4</sup> محيط المحيط ، المعلم بطري البستاني ص:79 مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان 1977.

كرؤية جديدة للعام ، أذنت بميلاد نظام معرفي جديد في أوروبا انزلت العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي و الاجتماعي وتكريس الإنسان صفا نهائيا للتحرر والتقدم ، وكأنها ثورة تتجه صوب التجديد وإلغاء القديم ، عنوانها العقل القاطع للصلة بينه وبين الماضي البالي ، كما يصوره أصحابها آخذًا طريقه نحو التحديث في شتى مجالات الحياة»<sup>1</sup>.

كذلك إشكالية الترجمة ((أن الاختلاف في ترجمة المصطلح الواحد من شأنه أن يفاقم الاختلاف النقدي ، ويعود ذلك للمصطلح عند نقادنا فضلا عن عدم ترجيح كفة على أخرى في تحديد معنى للمصطلح عند الناقد الواحد ، على أخرى يتعثر وجود قواعد و أصول الترجمة تكون كدستور للمترجم ويضاف إلى ذلك الاختلاف في الفهم المقصود من المصطلح الواحد مما يولد تضاربًا في الآراء و اختلافًا في النتائج ، و هذا كله يعود إلى الترجمة و التعريب ))<sup>2</sup>. ((و الحداثة مفهوم مرتبط أساسا بالحضارة العربية و سياقاتها التاريخية ، وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة يصل في النهاية إلى أن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيا بوجود سابق للحداثة الغربية و بامتداد القنوات والتواصل بين الثقافتين ))<sup>3</sup>.

بداية تفتقر للدلالة بعيدا عن التصور الصحيح للظروف التي نتجت فيها الحداثة فحداثة الغرب تختلف عن بيئة الفكر العربي ((فهي لم تنشأ نتيجة فكر معين أو فلسفة

<sup>1</sup>-موقف طه عبد الرحمان الحداثة ص8.

<sup>2</sup>-قضايا المصطلح، تحت عنوان إشكالية المصطلح النقدي المعاصر ، السيميولوجيا نموذجا: بسام قطومي :324. نقلا عن مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنوية، أ حياة لصحف، منشورات المجلس الاعلى للغة العربية، 2013، ص7.

<sup>3</sup>-اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، محمد براده : 11 مجلة الفصول القاهرة ، المجلد الرابع ع3 ، 1984م.



بل كانت تحديداً اقتضاه عدم جدوى الوسائل التقليدية ، لذلك لا يمكن الحديث عن  
حادثة عربية و بالتالي فحدثنا اليوم غربية تلقيناها من الغرب و حاولنا أن نؤقلمها مع  
مناخنا الفكري وهذا سبب عدم الوضوح وغموضه<sup>1</sup>.

فهذا كلام خبراء بينوا أنّ الحداثة لم يستقر لها تعريف بعد، أي ليس له مفهوم  
واضح، إلا أنّها غير واضحة و لا محددة المعالم، فكيف لمذهب غير واضح المعالم و لا  
الأهداف، أن ينتقد مذاهب مستقرة منذ قرون، و أنتجت حضارة مستقرة آمنة تحمل  
العلم و الرّحمة و الخير للبشرية جمعاء.

### عناصر الضّعف و الإخفاق عند الحداثيين:

- التّزعة العدائية التي أعمت أصحابها عن رؤية الحقيقة .
- عدم دراسة العلوم المختلفة من حيادية و استقلالية بل أرادوا أن يطبقوا مناهج غربية  
على تراثنا سواء أ جاءت مواتيّة أو لا .
- استخدام التّفسير المادي السّلبي دائما دون الالتفات إلى القيم السّامية.
- عدم إقامة أدلة حقيقية صريحة بقدر ما هو عرض آراءهم بجمالية الكلام و تناسق  
العبارات.
- الخلط الواضح بينا صح عند المحدثين و ما ضعّف، و الارتكاز على الضّعيف أو  
المختلف فيه و جعله أساسا للدراسة
- انعدام الفهم أو التّغافل المقصود للإنتاج الحديثي، و الآراء الحديثية الصّادرة عن  
المحدثين ، ممّا جعلهم لا يميزون بين المصادر الأصيلة، أو المراجع المتأخرة التي لم

<sup>1</sup>- الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء و النقاد عبد الوهاب البياني و محي الدين صبحي انموذجا  
نادية بوذراع: 26 ماجيستر جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر 2007/2008 .

تعتن بالتدقيق في نقل آراء المحدّثين.

- لا يوجد للحادّثين العرب أي إبداع في مجال قراءة النّصوص، فهو مقلد عاجز على الإنتاج، وعدم توجيه النّقد للغرب دليل على عدم استعمال العقل المقدس عندهم، بل هم آلة لتطبيق أجندات غريبة، وهذا تناقض منهم أن يمنعوا عقولهم من التّفكير ويدعون غيرهم لفعل ذلك.

### المبحث الثاني: وحيية السّنة وثبوتيتها بين الإمام الشافعي والحداثيين.

لقد أصبح من الصّعب الإمساك بمفهوم في الكتابات الحداثيّة و ذلك لهلاميّة مصطلحاتهم و تجدها مع عدم استقرارها و محاولة تجديد كلّ ماهو موروث بما يتناسب و أفكارهم، ولتوضيح شمولية هذا الفكر الحداثي، وأنه لا يقتصر على الشّعير واللغة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الدين والقرآن والحديث النبوي، نتأمل قول الكاتبة الحداثيّة خالدة سعيد:

"إنّ التّوجهات الأساسيّة لمفكري العشرينات، تقدم خطوطا عريضة تسمح بالقول: إنّ البداية الحقيقيّة للحداثة من حيث هي حركة فكريّة شاملة، قد انطلقت يومذاك، فقد مثّل فكر الرواد الأوائل قطيعة مع المرجعيّة الدينيّة والتراثيّة كميّار ومصدر وحيد للحقيقة، وأقام مرجعين بديلين، العقل والواقع التاريخي، وكلاهما إنساني، ومن ثمّ تطوري" <sup>1</sup>.

وتقول أيضاً: "عندما كان طه حسين وعلي عبد الرزاق يخوضان معركة زعزعة النموذج (الإسلام)، بإسقاط صفة الأصليّة فيه، ورده إلى حدود الموروث التاريخي، فيؤكّدان أنّ الإنسان يملك موروثه ولا يملكه الموروث، ويملك أن يحيله إلى موضوع

<sup>1</sup> - مجلة "فضول" المجلد الرابع العدد الثالث صفحة 27 في مقال لها بعنوان: (الملاحم الفكريّة للحداثة).



للبحث العلمي والنّظر، كما يملك حق إعادة النّظر في ما اكتسب صفة القداسة، وحق نزع الأسطورة عن المقدس، وحق طرح الأسئلة والبحث عن الأجوبة<sup>1</sup>. فهذه هي دعوتهم وهذا ما يهدفون إليه "نزع القداسة عن القرآن والسّنة"، ووضعها على طاولة البحث العلمي، وليس الخطر في البحث العلمي، فالبحث العلمي المجرد لا يزيد الحق إلا ثباتاً ورسوخاً، ولكن الخطر في نزع اعتقاد المسلم بعصمة الوحي الثّابت قرآناً وسنة، وفي ذلك خطر مستطير عن النّفس، لأن فيه تكذيباً لخبر الله وخبر رسوله ﷺ وإجماع الأمة، فهي دعوى صريحة للتحلل من القيود، ولكن باسم البحث العلمي !!

المعركة في حقيقتها إذن معركة قديمة في الفكر الحديث وهي ليست مجرد معركة حول قراءة النّصوص الدينية أو حول تأويلها بل هي معركة شاملة تدور على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. معركة تقودها قوى الخرافة والأسطورة باسم الدين والتّمسك بالمعاني الحرفية للنّصوص الدّينية وتحاول قوى العقلانية المتقدمة أن تنازل الأسطورة والخرافة أحياناً على أرضها ولأنّ النزال غالباً ما يتمّ بآليات السّجال الإيديولوجي دون البدء في تحقيق وعى علمي بطبيعة النّصوص وبطرائق تأويلها وقراءتها. تظل الغلبة على هذا المستوى من السّجال للخطاب الدّيني<sup>2</sup>.

### المطلب الأول: موقف الحداثيين من السّنة عموماً.

ولعلّ السّنة الشّريفة هي أحد مجالات الصّراع التي تدور رحاها بين المسلمين والحداثيين، فالحداثيون ينظرون للسّنة على أنّها:

1- نصوص بشرية بمجرد تجسدها في عالم البشر ولغته لو كانت وحياً.

1 - المرجع نفسه صفحة 26.

2 - ينظر كتاب نقد الخطاب الديني نصر أبو زيد ص 63.



## 2- التّعامل مع الرّوايات الحداثيّة و النّصوص الدّينيّة كالّتعامل مع الإخبار التّاريخيّة<sup>1</sup>.

والحدّاثيون يدعون لإبعاد السّنة لكن ليس بصراحة تامّة بل بطرق موصلة في نظرهم لذلك منها:

1- إعادة نقد السّنة وفق مناهج جديدة يلتقي بعضها مه منهج المحدثين أمّا المضامين مختلفة: <نقد الأحاديث بميزان جديد يقوم على سلامة و معقوليّة المتن ذاته لا على أساس سلامة الرّواة><sup>2</sup>، <وفق مناهج مستحدثة تفيد من الثورة المنهجية المعاصرة ، و تطرح جانبا منهج الإسناد معولة علة نقد المتون بقياسها على روح الإسلام و جوهره و مبادئه العامة كما وردت بالقرآن الكريم><sup>3</sup>. كلام جميل في ظاهره لكنه يحمل هدما داخليا بأن يقبل مرويات الكذابين و الوضاعين بالنظر لمتون مرويات لأنها توافق عقول تبعا لأهواء لا يمكن التحكم فيها بل المحدثين يستبعدون بنقد الأسانيد مرويات غير الثقات ثم بنقد المتون الأحاديث المعلّة فنقد الأمرين هو صمام الأمان، ثم اقترحوا أسسا بعضها يحمل عناوين ما يفعله المحدثون لكن المضمون يختلف كلياً و آخر جديد التركيب منها: عرض السّنة على القرآن و عرضها على روح الإسلام و القيم العليا للمجتمع و العلم الطبيعي أسس هلامية غير منضبطة فكيف تكون علما يضبط.

2- إعادة قراءة النّص: فبعد نسف أغلب السّنة و إدخال ما ليس فيها يأتي الآن إفراغ ما ثبت من السّنة من محتواه باقتراح أليات جديدة لفهم السّنة و استنباط ما يخدم

1 يُنظر مفهوم النّص، أبو زيد ص 18-19.

2 تحديث العقل الإسلامي ص 10 نقلا عن الحداثة و موقفها من السّنة.

3 التراث و قضايا العصر، ص 54.



المجتمع على حسب دعواهم ممّا يلوح فيه بريق الهوى و التميّع و فوضى الشرح و عدم التقييد و الانضباط ممّا يؤدي بالتأكيد على نتائج مغايرة لما كان عليه عهد الأمة بل نتائج غريبة عن المجتمع و ثقافته فتحول المجتمع إلى مجتمع آخر يحمل مواصفات توافق المجتمعات الأخرى التي لا تدين بالإسلام مع التحلل من الدين، و لنقرأ الآن لبعضهم ما يقولون : <يقتضي النظر إلى النصّ القرآني و الحديثي بمثابة نصا قابلا للبحث باتجاهات بحثية متعددة تعد الانساق المعرفية العلمية... كنظرية النص و نظرية التراث...><sup>1</sup>، و أبقى التراث شكلا و أعطته مضمونا جديدا يتناسب مع العقلية الحديثة المكتسبة><sup>2</sup>، أما القراءة الإسلامية العلمية: <قراءة لا تميّع النص ، و لا تمنح القارئ الحرية المطلقة في تصرفه بحسب أهوائه و مشاعره، بل هي قراءة تخضع لمنهج مشدود بثوابت مرتبطة باللسان و مقتضياته في فهم الخطاب من جهة ، و محتكمة إلى الشرع و حدوده من جهة أخرى ممّا يؤدي إلى ما أسماه الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- عقل المعاني><sup>3</sup>.

### المطلب الأول: وحيية السنّة بين الإمام الشافعي و الحداثيين:

كتب الحداثيون مجموعة من الكتب يدللون فيها عن رأيهم بعدم وحيية السنّة حتى تصبح تراثا تاريخيا لا نصيب لها في تنظيم و حكم المجتمع يصبح المجتمع المسلم في مهب الريح لتفسيرات و أهواء بعض الناس، لأنّ السنّة تمثل التفصيل التشريعي الذي إذا أبعدت منه فقد المسلمون التفصيل التشريعي وبقوا تحت رحمة تفسيرات المدارس الغربية البعيدة عن الواقع و الحقيقة، وذكروا بمجموعة من الحجج ، و سأخصص الحديث عن أبو زيد الذي لخص أدلة رده في ثلاث نقاط.

1 النص القرآني، تيزني ص 93.

2 من هنا يبدأ التغيير ص 305.

3 القراءة الحداثيّة للسنّة نقلا من الحداثة و موقفها من السنّة، للحرث ص 237.

## 1- السنّة نص ثانوي شارح و مبين و ليس مؤسساً:

يطلق أبو زيد على السنّة أنّها نص ثانوي و يقول أنّ جوهرها هي شرح و بيان للنّص الأصليّ الأول 1 ، و يقول أيضاً: إنّ الرّسول ﷺ حامل رسالة بلغها عن ربه هي القرآن و في هذا البلاغ يكمن الوحي، أمّا سنته ﷺ فمنها ما هو شرح و بيان ، و منها ما هو اجتهاد ، و في القسم الأخير اختلف المختلفون . و ما فعله الإمام الشافعيّ إزاء هذا الاختلاف هو أنّه أدمج كلّ العناصر في مفهوم كليّ وضعه في المستوى نفسه المقدس للوحي؟ أي لكلام الله سبحانه و تعالى، و بهذا الصّنيع صار كلّ ما ينطق به محمد و كلّ ما يفعله و حيا، و اختلفت الحدود و الفواصل بين الإلهي و البشري ، و دخل الأخير دائرة التّقدّيس <2.

و يقول: < فإنّ الوجه الثالث محلّ خلاف و هو استقلال السنّة بالتّشريع يكشف عن طبيعة الموقف الذي أهيل عليه تراب النسيان في ثقافتنا و فكرنا الدّيني . طبقاً لهذا الموقف ليست السنّة مصدراً للتّشريع ، و ليست و حيا، بل هي تفسير و بيان لما أجمله الكتاب و حتى مع التّسليم بحجية السنّة فإنّها لا تستقل بالتّشريع، و لا تضيف إلى النّص الأصليّ شيئاً لا يتضمّن على وجه الإجمال أو الإشارة . و لا شك أنّ هذا الموقف يختلف إلى حدّ كبير عن الموقف الذي جعل الشافعيّ يسود و هو اعتبار السنّة و حيا من نمط مغاير عن وحي الكتاب إنّ وحي السنّة هو الإلقاء في الرّوع أي الوحي بالمعنى اللغوي الذي هو الإلهام و ليس بالمعنى الاصطلاحيّ أي عن طريق وساطة جبريل <3.

1 ينظر الإمام الشافعي و تأسّيس الأيديولوجية الوسطية، أبو زيد 13.

2 المرجع نفسه 35.

3 المرجع نفسه ص 83.



## مناقشة الدكتور أبو زيد:

1- عرض أبو زيد أدلة الإمام الشافعي ولم يرد عليها بل اكتفى بوصفها أنّها غير مقنعة و أنّها أيديولوجية: لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الأيديولوجي المشار إليه 1، و هذا قصور منه في دحض أدلة الإمام الشافعي لعجزه أو لعدم فهمه أو لانعدام حجته، بل يرمي كلامه بهالة من الألفاظ الغربيّة حتى يظن المخدوع بكلامه أنّه يملك حججا غير مفهومة لبسطاء الناس. و خاصّة تهمة أدلجة الفكر الذي هو واقع فيها من رأسه لأخس قدميه يقول علي صالح مصطفى: <و اختيار الدكتور النقد المعتمد على المادة الجدلية دليل وقوعه في الإسقاط الأيديولوجي و القراءة المغرضة التلويينية التي اتهم بها الخطاب الديني فهو يريد أن تنطلق النصوص بما يريد لا بما أراد القائل>. 2

2- الحجة الكبرى في إنكار وحيية السنّة هو عدم استقلالها بالتّشريع، يقول: <وحتى مع التّسليم بحجية السنّة فإنّها لا تستقل بالتّشريع، و لا تضيف إلى النّص الأصلي شيئا لا يتضمّنّه على وجه الإجمال أو الإشارة. و لا شك أنّ هذا الموقف يختلف إلى حدّ كبير عن الموقف الذي جعل الشافعي يسود و هو اعتبار السنّة وحيّا من نمط مغاير عن وحي الكتاب إنّ وحي السنّة هو الإلقاء في الرّوع أي الوحي بالمعنى اللغوي الذي هو الإلهام و ليس بالمعنى الاصطلاحي أي عن طريق وساطة جبريل>. 3

فنسب للإمام الشافعي ما لم يقله و سأنقل كلام الإمام ثم كلام الدكتور لترى

1 المرجع نفسه ص 85.

2 مقال تحت عنوان المذهب النقدي عند الدكتور نصر حامد و موقفه من الاحتجاج بالسنّة رؤية نقدية، لعلي صالح مصطفى ص 258.

3 الإمام الشافعي، أبو زيد ص 83.

كيف حرّف الكلام قال الإمام: >و الوجه الثالث ما سنّ رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب، فمنهم من قال: جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسنّ فيما ليس فيه نص كتاب، و منهم من قال: لم يسن سنة قط إلا و لها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيّن عدد الصلّاة و عملها على أصل جملة فرض الصلّاة ... و منهم من قال: بل جاءته به رسالة الله فأثبت سنته بفرض الله، و منهم من قال: ألقي في روعه كلّ ما سنّ: و سنته الحكمة الذي ألقي في روعه عن الله فكان ما ألقي في روعه سنته<sup>1</sup>، و قول الدكتور السابق: > فإنّ الوجه الثالث محل خلاف و هو استقلال السنّة بالتشريع ...<<sup>2</sup>.

### المؤاخذات على الدكتور نصر:

- نسب للإمام الشافعي ما لم يرجحه أو يبيّنه فالإمام الشافعي ذكر الآراء دون ترجيح.
- الإمام الشافعي ذكر اختلاف تفسير العلماء للسنّة التي ترد و ليس لها نص كتاب والفرق بين الاختلافين كبير فالدكتور يؤهم القاري أن العلماء اختلفوا في هل تستقل السنّة بالتشريع أم لا، لكن الحقيقة اختلافهم في تفسير تشريعات السنّة التي ليس لها نص كتاب<sup>3</sup>.
- عرّف وحي السنّة أنّ إلهام و الإمام الشافعي ذكرها في معرض ذكر تفسيرات العلماء وهو أحد أقوالهم أنّ الوحي هو الإلهام فقط ونفى وساطة جبريل عليه السلام، و هذا قصور واضح منه فكيف للدكتور أن يفسر قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) سورة القيامة. و

1 الرسالة، الإمام الشافعي ص 9291.

2 الإمام الشافعي، أبو زيد ص 83.

3 ينظر: نقض كتاب نصر أبو زيد، د. رفعت فوزي ص 58.

غيرها من الآيات الدّالة على وحيية السنّة ، وكيف يفسر لنا الدكتور ورطته التي عرّف بها النفث في الرّوع هو الإلهام دون وساطة جبريل: > وإن الرّوح الأمين نفث في روعي أنّه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطّلب ...<sup>1</sup>، و غيرها من الأدلة التي لا أظنّالدكتور سبق أن قرأها حتى يكون لديه تصور كامل حول الموضوع بل يقتطف ما حضر أمامه دون الامام بالموضوع، لذلك تأتي عدة أدلة أخرى ليس له جواب عنها.

2- بشرية محمد ﷺ تضيء دخول العادات و الأعراف و الأخطاء على كلامه و عصمة كلامه نوع من الشّرك: يقول: > هكذا يكاد الشّافعي يتجاهل بشرية الرّسول تجاهلا شبه تام ، و تكاد تختفي من نسقه الفكري أنتم أعلم بشئون دنياكم ، حتى أنّه يجعل من مواصفات النظام الاجتماعي السّائد ، و الذي لم يقره الإسلام ، سنة واجبة الاتباع، يجري عليها القياس<sup>2</sup>، و يقول: إنّ فهم النبي ﷺ للنّص يمثل أولى مراحل حركة النّص في تفاعله بالعقل البشري و لا التفات لمزاعم الخطاب الدّيني بمطابقة فهم الرّسول للدلالة الدّاتيّة للنّص ، على فرض وجود هذه الدّلالة الدّاتيّة ، إنّ مثل هذا الرّغم يؤدي إلى نوع من الشّرك من حيث أنّه يطابق بين المطلق و النسبي ، و بين الثّابت و المتغير ، حين يطابق بين القصد الإلهي و الفهم الإنساني لهذا القصد ولو كان فهم الرّسول، إنّ زعم يؤدي إلى تأليه النبي ، أو إلى تقديسه بإخفاء حقيقة كونه بشرا ، و الكشف عن حقيقة كونه نبيا بالتركيز عليها وحدها.<sup>3</sup> و يعلق على كلام الإمام الشّافعي في وصف محمد ﷺ فيقول: و تؤكّد الدّلالات المستدعاة أنّ الشّافعي بدلالة الخطاب يجمع بين الأزلي و التّاريخي في شخص محمد و هذا يسهل إلى حد كبير عملية

1 ينظر: صحيح وضعف الجامع الصغير - الألباني الناشر: المكتب الإسلامي ص 385.

2 الإمام الشّافعي، أبو زيد ص 84.

3 نقد الخطاب الدّيني ، أبو زيد ص 93.

تحويل السنة بدلالاتها الواسعة جدا إلى وحي 1. و يقول أيضا: وتتضح الإجابة من خلال تحليل المكانة التشريعية للسنة في خطاب الشافعي، خاصة بعد أن وسّع مفهوم السنة بحيث يضمّ الأقوال و الأفعال و المواقف ، و بعد أن جعلها وحيا مساويا للقرآن من كل وجه ، إن السنة المحمدية بهذا المفهوم الواسع الذي لا يميز بين التشريع و العادات، تتضمن بالضرورة العادات و التقاليد و الأعراف التي يرفضها الإسلام و لم ينكرها و هذه العادات و التقاليد و الأعراف هي الممارسات القرشية التي كان يمارسها الرسول بوصفه إنسانا يعيش في التاريخ و المجتمع و الواقع... فإن الإمام الشافعي جعل من عادات قريش و أعرافها دينا ملزما للناس كافة 2. و يقول: لكن توحيد الشافعي بين وحي القرآن و بين وحي السنة لا يستقيم ، خاصة و قد جعلها على درجة واحدة من حيث قوة الإلزام ، لأن النتيجة النهائية لمثل ذلك التوحيد مشاركة أفاق التوحيد بين الإلهي و البشري 3. و يقول: لكن هذا التأسيس للنمط الثاني على النمط الأول لا يعني أن كل ما صدر عن الرسول من أقوال و أفعال و تقريرات - و هو مفهوم السنة - صدر عن وحي ، فكثير من الشواهد تدلنا على أنه كان يرى الرأي ثم يستشير أصحابه و يتبع رأيهم 4. و يقول: إن تأسيس السنة وحيا لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الأيديولوجي الذي أسهنا في شرحه و تحليله ، موقف العصبية العربية القرشية . التي كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد و إلباسه صفات قدسية إلهية تجعل منه مشرعا 5.

1 الإمام الشافعي، أبو زيد ص 46.

2 المرجع نفسه ص 44.

3 الإمام الشافعي، أبو زيد ص 89.

4 المرجع نفسه ص 89.

5 المرجع نفسه ص 97.



مناقشة الدكتور أبو زيد في هذه النقطة: طرح الدكتور أبو زيد عدة قضايا يريد بها خلط الأوراق بنظام النوافذ المفتوحة حتى ينبهر الخصم أمامها لكن سأناقشه فيها واحدة تلو الأخرى حتى يتبين الحق من غيره.

بشرية الرسول تتعارض في عقل الدكتور مع استقلال السنّة بالتّشريع وذلك بتأليه محمد و تشريكه لله في خصوصية حاكميته بالتّشريع، وفهم الرسول ليس معصوما لأنه بشر و كم من مرة يقول الرّأيو يستشير أصحابه و يتبع رأيهم لأنه أصوب و لو كان كلامه وحيا ما ترك رأيه لرأيهم، و دافعها العصبية العربية القرشية جعلت من محمد مشرعا حتى تحولت عادات قريش التي لم يؤسسها الإسلام و لم ينكرها سنة واجبة الاتباع، هكذا صور الدكتور كلام الإمام الشافعي حقيقته و دوافعه.

- بشرية الرسول هذه حقيقة متفق عليها ، و لا ينقص منها أنّه معصوم من الله تعالى في التبليغ بل العصمة تثبت أنّه بشر ولولا العصمة لوقع منه الخطأ أقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَا تَأْخُذُ وَكَهْلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ فِصْحَةَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)﴾. سورة الإسراء. و غيرها من الآيات التي تفيد العصمة في التبليغ عن الله تعالى الدّين كلّهُ. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113). فالله أنزل الكتاب الذي هو القرآن و ما الحكمة المنزلة كذلك أليست أمرا زائدا عن القرآن ألا تتناسب مع الآية ﴿ثم إنّا علينا بيانه﴾ سورة القيامة، أي سينزل البيان بعد القرآن الذي هو الحكمة الذي هو شرح النبي ﷺ و تفسيره و بيانه و تخصيصه لعام القرآن و تقيدته لمطلقه و استقلاله في التّشريع لما سكت عنه، إنّ الشرح الذي يقبله العقل هو الشرح الذي يجمع بين جميع

الآيات بخيط ضمها متناسقة مع بعضها لا نشاز فيها ولا إعوجاج، أما الرأى الخاطيء هو الذي ينفرد من خيطه أغلب الآيات، فقد وردت كلمة الحكمة مع القرآن في عدة مواضع منفصلة عنه و قسيمة له، و المقام لا يسع أكثر من الإشارات.

-أما فهمه أنه بشري ، و أنه كان يرى الرأى ويتبع غيره، و قوله أنتم أعلم بأمور دنياكم، فالدكتور هنا يبدو أنه وقع في خلط كبير بسبب جمع كل ما له علاقة بالموضوع و بتره عن سياقه حتى يكثّر الحجج المؤيدة له أمام من لا يطالع أو ثقافته الشرعية ضحلة. الحديث الذي استشهد به هو عليه و ليس له سآذكر الحديث أولا:

«مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالُوا: يُلْقِحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكْرَ فِي الْأُنْثَى فَيُلْفَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا» قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، و عن رافع بن خديج، قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْتُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ يُلْقِحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: «كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فَتَرَكُوهُ، فَتَقَصَّتْ أَوْ فَتَقَصَّتْ، قَالَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»<sup>1</sup>. فالفاظ الحديث لو ركز الدكتور قليلا لكفته مؤونة فضحه فقول النبي ﷺ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا» و اللفظ الثاني «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا»، فاللفظ الأول كلمة ما أظن تدل على بشرية كلامه، و الثانية لعلكم و ما تفيد لغة فيها كافيًا نضفي البشرية على هذا الأمر و ما شابهه مما رتبّه العلماء تحت المصالح المرسله و أن القول فيها لأهل الاختصاص و أن

1 رواه مسلم في صحيحه ج4 ص1836.



المصلحة هي الحاكمة و التجربة و الخبرة و هذه لم ينسها الإمام الشافعي بل مذهبه مليء بمثيلاها.

ولعلّ الدكتور لو اتعب نفسه فطالع في السيرة كما يؤهم أنّه مطلع عليها لعلم أنّ الصحابة يقرون أنّ هناك فرقا بين الوحي و الرأي الصادر عن السنة: «فَلَمَّا جَاءَ أَذْنِي مَاءٍ مِنْ بَدْرِ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْزِلُ أَنْزَلَكُهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ وَلَا نُقَصِّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَالَ الْحَبَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ وَلَكِنْ انْهَضْ حَتَّى...»<sup>1</sup>. فسؤال الصحابي عن المكوث الحربي هو وحي أم تخطيط لعلمهم أنّه يفعل ذلك بالوحي أو الرأي، يدل على انتشار تصرفات النبي ﷺ بالوحي حتى في العاديات لكن الله أعلم و أحكم فلو قال بالوحي لأحتج الدكتور و أصحابه من أين لنا بالوحي في هاته الأمور؟ و عليه فلنترك الدين كليتة لكن الله سلّم، و حوادث أخرى مماثلة تدل على هذا النسق من المعلومات، ولو طالع الدكتور في كتب الأصول تقسيم تصرفات النبي ﷺ لزالته عنه هذه الشبهة لو أراد معرفة الحقيقة.

-أمّا العصبية العربيّة و دخول عادات العرب في الشريعة و أنّها سنّة متبعة و هي لم يؤسسها الإسلام و لم ينكره، هذه أعجب ممّا سبق كلّ شيء جاء عليه الإسلام فإن أقره فقد أصبح من صلبه فإنه لا يقرّ إلا ما كان متماشيا معه، ثمّ نسأل الدكتور هل كان لزاما على الإسلام أن يؤسس أعرافا و عادات للمجتمع الذي ينظمه أم ليس عليه ذلك، فإن قال بالأول فنقول له أين هو إن؟ و إن قال بالثاني؟ فهو قصور من الإسلام لا يقبل منه، ثمّ هل عدم إنكار الإسلام يعتبر ضعف في الإسلام؟ أم تفتح واستجلاب كلّ خير؟ ولو كان من مجتمع جاهلي، فتعجب لمثل الدكتور كيف ما جاء

1دلائل النبوة، للبيهقي ج3 ص 35.



الإسلام ادانوه مهما فعل لكن الله لا يلبي رغبة الأشخاص على حساب الأمة.

- أما حرصه على التوحيد الذي رغب في الخروج عن حكم الله تعالى و ذم القائلين به كالإمام الشافعي و المودودي في عصرنا و الحقيقة هو قول كل المسلمين لكن يريد أن ينسبه للبعض ليسهل التتصل منه، ففي كتب أصول الفقه لكل المذاهب تصف الحاكم و الشارع هو الله تعالى، ولا نعلم أحدا من المسلمين أشرك الله نبيه في أي شيء طيلة السنين كلها، فتوقع الدكتور و تخوفه ليس حقيقة إلا في خياله هو، بل الكل يربط أمر رسول الله بالله و إلا كيف يجيب عن قوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) سورة آل عمران، و غيرها من آيات طاعة الرسول و سؤاله و النزول عند حكمه.

3-عدم القول بتناسخ القرآن و السنة: يقول: مادام القرآن و السنة بمثابة نص واحد -كما ذهب الشافعي- فقد كان من المتوقع أن يجعلها متناسخين.... و لا يتنبه الشافعي إلى مثل هذا الاستناد أن السنة ليست و حيا، و إنما هي اجتهادات النبي لفهم الوحي، و هي اجتهادات لا يصح أن تناقض مع منطوق الوحي، ناهيك بأحكامه وهكذا يتحدد دور السنة في أنها تابعة للكتاب، إما بال تكرار، أو بالشرح و التفسير و البيان و يكاد يختفي دورها التشريعي المستقل بوصفها و حيا، و إن يكن من نمط مغاير.. فالأصل لا يمكن يغيره فرعه 1.

مناقشة الدكتور أبو زيد: مسألة عدم التناسخ بين القرآن و السنة لا علاقة لها بعدم و حية السنة، فالسنة تختلف عن القرآن في عدة صور منها اللفظ فالقرآن وحي لفظا و معنى و السنة وحي معنى دون اللفظ، و القرآن نزل به جبريل عليه السلام و السنة لا

1 الإمام الشافعي، أبو زيد ص 90.

واسطة لها إلا في البعض، القرآن يتعبد بتلاوته أي في الصلّاة والسنة لا يتعبد بتلاوتها في الصلّاة إلا لمن عدّ حفظ القرآن، وغيرها من الأوجه الأخرى حتى لا يختلط كلام الله تعالى بكلام رسوله ﷺ، أما مسألة النسخ فلها النسخ الجزئي، كتخصيص العام، وتقييد المطلق، قال الإمام الشاطبي: وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يَطْهَرُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ النَّسْخَ عِنْدَهُمْ فِي الْإِطْلَاقِ أَعْمٌ مِنْهُ فِي كَلَامِ الْأُصُولِيِّينَ؛ فَقَدْ يُطْلَقُونَ عَلَى تَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ نَسْخًا، وَعَلَى تَخْصِيسِ الْعُمُومِ بِدَلِيلٍ مُتَّصِلٍ أَوْ مُتَفَصِّلٍ نَسْخًا، وَعَلَى بَيَانِ الْمُبْهَمِ وَالْمُجْمَلِ نَسْخًا، كَمَا يُطْلَقُونَ عَلَى رَفْعِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ نَسْخًا؛ لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مُشْتَرَكٌ فِي مَعْنَى وَاحِدًا، وَهُوَ أَنَّ النَّسْخَ فِي الْإِصْطِلَاحِ الْمُتَأَخِّرِ اقْتَضَى أَنَّ الْأَمْرَ الْمُتَقَدِّمَ غَيْرَ مُرَادٍ فِي التَّكْلِيفِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا جِيءَ بِهِ آخِرًا؛ فَأَلَوَّلُ غَيْرُ مَعْمُولٍ بِهِ، وَالثَّانِي هُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى جَارٍ فِي تَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ، فَإِنَّ الْمُطْلَقَ مَثْرُوكَ الظَّاهِرِ مَعَ مُقَيِّدِهِ؛ فَلَا إِعْمَالُ لَهُ فِي إِطْلَاقِهِ، بَلِ الْمَعْمَلُ هُوَ الْمُقَيِّدُ، فَكَانَ 2 الْمُطْلَقُ لَمْ يُفِدْ مَعَ مُقَيِّدِهِ شَيْئًا؛ فَصَارَ مِثْلَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَكَذَلِكَ الْعَامُّ مَعَ الْخَاصِّ؛ إِذْ كَانَ ظَاهِرُ الْعَامِّ يَقْتَضِي شُمُولَ الْحُكْمِ لِجَمِيعِ مَا يَتَنَاوَلُهُ اللَّفْظُ، فَلَمَّا جَاءَ الْخَاصُّ أَخْرَجَ حُكْمَ ظَاهِرِ الْعَامِّ عَنِ الْإِعْتِبَارِ؛ فَأَشْبَهَ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ؛ إِلَّا أَنَّ اللَّفْظَ الْعَامَّ لَمْ يَهْمَلْ مَدْلُوكُهُ جُمْلَةً، وَإِنَّمَا أَهْمَلِ مِنْهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ 3 الْخَاصُّ. 1

والأصل ان يناقش مسألة النسخ عند كل علماء الإسلام لأنه يقرر أمرا بهم الإسلام لا مذهب الإمام الشافعي وحده فعندما يحتاج الرد على الشافعي فيما يخدمه يقدر القائلين بخلافه و عندما يكثر القائلون بخلافه و ليس ذكرهم لصالحه يغض عنها الطرف و هذا عين الأدلجة و التعصب، لذلك سأذكر القائلين بجواز نسخ السنة

1 الموافقات الشاطبي المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان للطبعة: ط1، 1417هـ / 1997م، ج3 ص334.



للقرآن حتى ثبت وحيية السنّة من هذه الزاوية كما يراها الدكتور، وهو رأي أبي حنيفة ومالك وأكثر أصحابه ورواية عن الإمام أحمد وهو قول الأكثر<sup>1</sup>، ودليلهم أنّ الكُلّ من عند الله، والناسخ حقيقة هو الله على لسان رسوله بوحى غير نظم القرآن.

### المطلب الثاني: ثبوتية السنّة بين الإمام الشافعي والحداثيين.

ثمّ ناقش أبو زيد الإمام الشافعي في ثبوت السنّة ضمن التّفريق بينه وبين مذهب الإمام أبي حنيفة ليظهر نفسه مدافعا عن مدرسة الرأي التي حسب زعمه تحترم العقل وهو يستعمل هذه المطية ليظهر أنّه مفكر من الدّاخل - أي مفكر إسلامي - وليس من الخارج الذي سيجد الرّفص قبل معرفة شبهه حسب زعمه طبعاً وإلا فالقرآن الكريم الذي هو مصدر كلّ علوم المسلمين الأول ناقش الكفار و ذكر حججهم و ردّ عليها بل أعطاهما صبغة الخلود والبقاء دون خوف من ذكرها<sup>2</sup>، وجاء بها في أبهى حلة بلغة القرآن البليغة، فالمسلمون لا يخافون من ذكر حجج الخصوم.

#### 1- الأخبار المتواترة تحتاج إعادة نظر:

قال أبو زيد: والحقيقة أنّ الخلاف لم يكن حول حجية أحاديث الآحاد وحدها، بل هناك من قلل من درجة حجية المتواتر، وذلك على أساس أن المتواتر ليس إلا الاجتماع على رواية بعينها، ولما كان التواتر جمع آحاد، وكانت شبهة الكذب يمكن

1 ينظر: إرشاد الفحول ج 3 ص 639. وللفائدة يُنظر: الرسالة ص (106)، الواضح في أصول الفقه (4/ 258)، روضة الناظر ص (78)، شرح مختصر الروضة (2/ 320)، تقريب الوصول ص (318)، مجموع فتاوى ابن تيمية (17/ 195، 197) و (19/ 202) و (20/ 398)، إرشاد الفحول (3/ 639)، مذكرة أصول الفقه ص (83)، معالم أصول الفقه عند أهل السنّة والجماعة ص (267). البرهان في علوم القرآن (2/ 37)، الإلتقان في علوم القرآن (2/ 701)، مناهل العرفان في علوم القرآن (2/ 237) وقد توسّع في الحديث عن المسألة.

2 أغلب السور المكيّة وبعض المدنيّة.



أن تلحق الأفراد، فإن نفي الكذب عن الأفراد مستحيل وعلى ذلك ينكر أصحاب الرأى أن يكون العلم الناشئ عن التواتر مساويا للعلم الناشئ عن العيان، كما يذهب الكثرة، و يكتفون بالقول إن التواتر من الأخبار يوجب علم طمأنينة لا<sup>1</sup> يقين. ومعنى الطمأنينة عندهم ما يحتمل أن يتخالجه شك أو يعتربه وهم<sup>2</sup>، ويقول أيضا: التواتر ظاهرة تستحق دراسة أعمق من زوايا متعددة، تختلف عن تلك التي نوقشت من خلالها في التراث، من هذه الزوايا زاوية الاصطناع، فإذا كانت قوة السّلطة السياسيّة و قدرتها على القهر قد استطاعت أن تفرض لنفسها الإجماع بالبيعة، فليس ثمة ما يمنع من فرض التواتر على مستوى الأخبار و المرويات بمحاربة الأخبار و المرويات المضادة لتوجهاتها<sup>3</sup>.

**مناقشة الدكتور:** أفكاره لا ترقى للمناقشة أصلا في هذه الجزئية لكن الضرورة العلميّة تختمها في هذا الموضوع لأنّه حرّف النّقل و بنى عليه حكما كمسلمة ليكسب رأيه القوة و المنعة، و أنّ رأى الإمام الشافعي هو قول بعض أهل العلم و الكثرة على خلافه.

-قال إنّ الخلاف ليس في الأحاد فقط بل حتى في المتواتر و أنه يفيد الطمأنينة فقط عند الأكثر و نقل هذا الكلام عن الإمام أبي زهرة من كتابه عن الإمام أبي حنيفة و قول الإمام أبي زهرة عمدة لكن الدكتور لم يواصل النّقل ليبيّن رأى الإمام أبي زهرة، قال الإمام أبو زهرة ذاك الكلام و زاده دعما على لسان أصحاب ذاك الرأى، ثمّ ختم

1 و قد أخطأ أبو زيد في نقلها: يوجب علم طمأنينة و يقين. و عجبت له كيف يعطف الطمانينة على اليقين و يشرح الطمانينة بما يخالف اليقين نقلا عن أبي زهرة، ينظر الإمام الشافعي، أبو زيد ص 106.

2الإمام الشافعي، أبو زيد ص 106.

3الإمام الشافعي، أبو زيد ص 107.



الإمام أبو زهرة أنّ أبا حنيفة يرى حجية المتواتر ولم يثبت أنّه أنكر خبراً علم تواتره<sup>1</sup> فهو ينفي ما يوهّم أبو زيد أنّ الحنفية يشككون في المتواتر.

- ثمّ زاد شبهة أنّ المتواتر هو جمع الآحاد، وهذا من الافتراءات على تصوير مسألة المتواتر، فالمتواتر ليس جمع آحاد و لو قال ذلك أهل العلم لقالوا ينفع المتابعات للوصول لدرجة التواتر، ولم يشترطوا العدالة في التواتر ولا الديانة ولا غيرها إلا أنّ يستحيل تواطؤهم عن الكذب و الجمع يكون في طبقة من السند و منهم من زاد أنّهاية الأخبار للحس<sup>2</sup>، فيبدو أنّ الدكتور لم يتعب نفسه للقراءة لأهل الحديث، حتى يثبت عنده أنّ الآحاد مهما أجمع فلن يصل إلى المتواتر، ولو اجتمعت الشروط حتى وصل التواتر لانتهى عنه وصف الآحاد لأنّه استغنى عن الثقة و العدالة و غيرها من شروط التواتر لأنّ هذه الشروط اعتبرها المحدثون خوفاً من الغفلة و النسيان و الاختلاط و غيرها من الأسباب التي يتيقها المحدثون في الآحاد، أمّا الكذابون و الوضاعون فلا يشتغل بمروياتهم لا آحاد و لا تواتر، لكنّ الدكتور بعيد عن الميدان فلا يعرف علومه، ورددود كثيرة في تفاصيل علوم المحدثين ترد عليه ادّعاءه.

## 2- أخبار الآحاد تفيد الحكم بالظاهر مع جهلنا الباطن:

تحدث عن أخبار الآحاد أنّها تفيد الحكم بالظاهر دون الباطن بخلاف القرآن و المتواتر الذي يفيد الظاهر و الباطن و أنّ الآحاد إذا ثبت لا يحتاج للقياس و أنّ الآحاد و القياس كلّها تفيد الظاهر و ثمّ ناقش مسألة الاتصال و الانقطاع بعد توثيق الرواة

<sup>1</sup> الإمام أبو حنيفة، أبو زهرة ص 307.

<sup>2</sup> ينظر تدريب الراوي في شرح تقريب النّووي، للحافظ السيوطي، ج 2 ص 627. و غيرها من كتب علوم الحديث.

فالصحيح هو رواية الثقة عن مثله دون انقطاع غير مخالف للمعقول أو حديث أقوى منه فإذا تحققت هذه الشروط استحال اختلاف العلماء حولها فيعلق: و اللافت هنا أنّ الشافعي يقوم بعملية تبرير واضحة، فالواقع يؤكد له أنّه ليس ثمة إجماع على قبول السنن الصحيحة بالشروط السابقة- إلا أنّه يفترض - وهنا يمكن التبرير و المغالطة أن مجرد عدم الإجماع على خلاف السنة الحديث يؤكد حجيتها و معنى ذلك أنّ الصحيح يتمتع بالمرتبة الثالثة من حيث الحجية بعد المتواتر و المشهور... لا نستطيع أن نقبل في النهاية تبرير الواقع الخلافي بالقول الذي يذهب إليه الشافعي ، إن عدم الاجماع على الخلاف درجة من درجات الحجية.1.

ثم ناقش المرسل و قال :و هكذا لا يألو الشافعي جهدا في الحرص على إدراج المراسيل في إطار السنة، توسيعا لمجال فعالية النصوص.2.

### مناقشة الدكتور:

1- هذا كلام المحدثين جلّهم لذلك جعلوه يفيد العمل لا العلم قال الإمام السيوطي: وَإِذَا قِيلَ هَذَا حَدِيثٌ (صَحِيحٌ فَهَذَا مَعْنَاهُ) أَي: مَا اتَّصَلَ سَنَدُهُ مَعَ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ، فَقَبِلْنَاهُ عَمَلًا بِظَاهِرِ الْإِسْنَادِ (لَا أَنَّهُ مَقْطُوعٌ بِهِ) فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لِحَوَازِ الْخَطِّ وَالْتِسْيَانِ عَلَى الثَّقَّةِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: إِنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ يُوجِبُ الْقَطْعَ، حَكَاهُ ابْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَعَزَاهُ الْبَاجِي لِأَحْمَدَ وَابْنُ خُوَيْرِزِمَةَ مَنَدَادَ لِمَالِكٍ، وَإِنْ نَازَعَهُ فِيهِ الْمَازِرِيُّ، بَعْدَمَ وُجُودِ نَصٍّ لَهُ فِيهِ، وَحَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ حُسَيْنِ الْكُرَيبِيِّ وَابْنِ حَزْمٍ عَنْ دَاوُدَ. وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيِّ ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ فِي إِسْنَادِهِ إِمَامٌ مِثْلُ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَسُفْيَانَ، وَإِلَّا فَلَا يُوجِبُهُ. وَحَكَى الشَّيْخُ أَبُو

1الإمام الشافعي، أبو زيد ص 109.

2المرجع نفسه ص 109.

إِسْحَاقَ فِي التَّبَصُّرَةِ عَنْ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَشِبْهِهِ<sup>1</sup>، لأجل هذا نتج الخلاف بين أهل العلم في تفاوت حمل الحديث ووصوله إليهم، ولأنه يفيد الظنّ والظنّ له مراتب حسب كلّ عالم. مع أنّ مجموعة من أهل العلم قالوا يفيد اليقين.

2- وأنّ الآحاد إذا ثبت فلا يحتاج للقياس فهذا ليس كلام الإمام الشافعي، بل لو واصل القراءة في كتاب الإمام أبي زهرة كما يوهم القارئ لوجد أنّ هذا كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الذي ادّعى أنّ الحنفية ينازعون في ثمرة المتواتر أنّه يفيد الطمأنينة، ولندع الإمام أبو حنيفة يردّ عليه و كفى به، قال الإمام أبو حنيفة: كذب و الله و افترى علينا من يقول: إنّنا نقدم القياس على النصّ، و هل يحتاج بعد النصّ إلى قياس<sup>2</sup>.

3- يتهم الإمام الشافعي بالمغالطة لتبرير مذهبه وهو لم يفهم كلام الإمام، يقول الدكتور: فإذا تحققت هذه الشروط استحال اختلاف العلماء حولها فيعلق: و اللافت هنا أنّ الشافعي يقوم بعملية تبرير واضحة...<sup>3</sup>، و الإمام الشافعي يقصد من تحققت عنده هذه الشّروط فهو ملزم بها فلو تحققت عند كلّ العلماء فهم ملزمون جميعاً لذلك أغلب الخلاف في تحقق الشّروط و ليس في طرح الشّروط نفسها.

4- و ختم تعليقه على الإمام الشافعي، بأنّه أدخل المرسل ضمن السنّة لزيادة فعالية النصوص، لكني سأترك عالماً يتكلم يرد على هذه الفرية التاريخية، قال الإمام أبو داود: وَأَمَّا الْمُرَاسِيلُ فَقَدْ كَانَ يَخْتَجُّ بِهَا الْعُلَمَاءُ فِيمَا مَضَى مِثْلَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ حَتَّى جَاءَ الشَّافِعِيُّ فَتَكَلَّمَ فِيهَا وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ

<sup>1</sup>تدريب الراوي، للسيوطي ج 1 ص 76.

<sup>2</sup>الإمام أبو حنيفة، أبو زهرة ص 302.

<sup>3</sup>الإمام الشافعي، أبو زيد ص 109.



رضوان الله عليهما فإذا لم يكن مُسند غير المراسيل ولم يُوجد المُسند فالمرسل يُخجج به  
وكيس هو مثل المتصل في القوة<sup>1</sup>، فأيهما نصدق الإمام أبا داود الذي قال: إن الإمام  
الشافعي ضيق عن المراسيل أم الدكتور أبو زيد، ثم إن الاحتجاج بالمرسل ليس من  
الباب الذي قاله الدكتور، بل من باب الاحتياط أولاً ثم مراعاة الأعراف العلمية  
لتلك العصور القديمة التي لم تراخ في بعض الأحيان ذكر رجال كل السند ثم إن كثيراً  
منها ساندته العمل المتوارث الذي هو أقوى من التواتر.

### الخاتمة:

وقد خلصت في مداخلتني إلى جملة من النتائج من أهمها:

- أن الحدائرية مفهوم هلامي، وأنها تمثل انقطاعاً معرفياً يحاول فهم الإسلام فهماً  
جديداً يبتعد فيه عن التفسير التراثي عند المسلمين، بآليات غير صالحة لا تراخ  
خصوصية نصوص المسلمين.

- وأن الحدائريين قد اعتبروا اهتمام الإمام الشافعي متعصبا لعروبه و لمذهب أهل  
الحديث، وأنه حجّر على العقل بوضع ضوابط تقيده، وأن دعاوى استحالة التأصيل  
لا يهدف منها في الواقع إلا التفلت من الأحكام الشرعية وضوابطها.

- أغلب طروحات الدكتور مغالطات في النقل، و في الشرح، و في نسبة الأقوال  
لأصحابها:

1- حمل ذكر الاختلاف الذي شرحه الإمام الشافعي في تفسير العلماء لاستقلالية  
السنة بالتشريع على أنه خلاف في هل السنة تستقل أم لا؟

1 رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه، أبو داود، المحقق: محمد الصباغ الناشر: دار العربية -  
بيروت، ص 24-25.

2- اقتصر على تعريف وحيية السنة أنها إلهام، - والإمام الشافعي ذكرها في معرض شرح مذاهب العلماء في تفسير استقلالية السنّة- و أنّه مجرد من وساطة جبريل، و أثبت بالخبر أن النفث في الرّوع بواسطة جبريل عليه السّلام.

3- نسبة القول بمنازعة ما يفيد المتواتر عن الشّافعي للحنفيّة، و التّمويه بنقل كلام أبي زهرة دون الوصول لنهاية الفقرة التي يثبت فيها أبو زهرة انتفاء هذا الكلام.

4- دعوة أن الإمام الشافعي هو من أدخل المرسل في دائرة الاحتجاج والحقيقة كما قال الإمام ابو داود أن الغمام الشّافعي ضيق دائرة الاحتجاج بالمرسل.

- اتهام الإمام الشّافعي يتجاهل بشرية الرّسول عند تقرير وحيية السنّة و أنّها نوع من الشّرك، و هو نسي أنّه متصل حتى من نصوص القرآن، أنّ المسلمين منذ بدأ الإسلام لم يشرك أحد رسول الله ﷺ بل تعظيم الرّسول ﷺ ثمرة تعظيم الله تعالى لذلك لا يصفونه إلا برسول الله ﷺ.

- عدم معرفته بأقسام السنّة عند الأصوليين و الفقهاء و علماء المقاصد حتى يميزوا بين السنّة الوحي و بين السنّة البشرية، حتى يبقى المجال مفتوحا أمام القضاة و القادة و الرؤساء الذين لن يوحى إليهم، و يقدون بالرول في الاجتهاد لتسير مصالح الأمة.

- عندما يجد رأيا يردّ عن الإمام الشافعي يكبر به و يذكره، عندما يجد علماء ناصرُوا الشّافعي أو قالوا بحكم أشد منه لا يذكرهم و لا يعرج عليهم.

- كثير من القضايا الأصل أن يناقش فيها العلماء كلّهم لا الشّافعي وحده كمسألة التّسخ، لأنّه إن ناقشهم كلّهم افتضح ضعف قوله.

وأوصي:



- بدراسة الحداثيين الكبار كمشاريع متخصصة لتتبع كتبهم و مقالاتهم و مناقشة آراءهم.

- مناقشة الحداثيين تكون بنفس الأسلوب و المدارس التي يتبعونها في تحليل نصوص الكتاب و السنة أو تحليل خطاب علمائنا حتى يتسنى للمتأثرين بهم أو للذين يفهمون بهذا المنهج الاطلاع على الردود عليهم.

### قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، محمد برادة، مجلة الفصول ع4 ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ، مصر ، 1984.
- الإمام أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه الفقهية، الإمام أبو زهرة دار الفكر العربي مصر، ط 2.
- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، الدكتور نصر حامد أبو زيد، نشر مكتبة مدبولي القاهرة مصر، ط 2 سنة 1996.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، ابن عبد البر الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ط: 1، 1422هـ - 2002م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ السيوطي، حققه: محمد الفارياي، الناشر: دار طيبة.
- التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم لحسن حنفي: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط: 4 1992.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد الأصبهاني الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394 هـ - 1974 م.
- الحداثة و موقفها من السنة، د. الحارث فخري أصلها رسالة دكتوراه تحت إشراف أ.د. شرف محمود القضاة بجامعة الأردن بتقدير مشرف جدا، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة مصر ط1، 1434هـ / 2013م.
- الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد عبد الوهاب البياني ومحي الدين صبحي انموذجا نادية بوذراع: 26 ماجيستر جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر 2008/2007 .
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط: 1 - 1405 هـ.
- رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه، أبو داود، المحقق: محمد الصباغ الناشر: دار العربية - بيروت لبنان.
- الرسالة الإمام الشافعي المحقق: أحمد شاكا الناشر: مكتبة الحلبي، مصر ط: 1، 1358هـ / 1940م.
- سير أعلام النبلاء. شمس الدين الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- صحيح الإمام مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير - الألباني الناشر: المكتب الإسلامي الأردن.
- لسان العرب ، لابن منظور ، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت لبنان، 1955.
- مجلة "فصول" المجلد الرابع، ع 3، في مقال لها بعنوان: (الملامح الفكرية للحداثة).



- محيط المحيط ، المعلم بطري البستاني مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان 1977.
- مصطلحات عربية في نقد ما بعد النبوية، أ حياة لصحف، منشورات المجلس الاعلى  
للغة العربية.
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الدكتور نصر حامد أبو زيد، الناشر المركز  
الثقافي العربي ط1، 2014.
- مقال تحت عنوان المذهب النقدي عند الدكتور نصر حامد و موقفه من الاحتجاج  
بالسنة رؤية نقدية، لعلي صالح مصطفى ص258.
- من هنا يبدأ التغيير، الحمد التركي، دار السافي بيرون لبنان ط2، 2008.
- الموافقاتبالشاطبي المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمانالناشر: دار ابن  
عفانالطبعة: ط1، 1417هـ/ 1997م.
- نقد الخطاب الديني ، الدكتور نصر حامد أبو زيد، الناشر سيتا القاهرة مصر، ط2،  
1994..
- نقض كتاب نصر أبو زيد و دحض شبهاته، د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة  
الخانجي ، القاهرة مصر، ط1، 1996 .
- النص القرآني أمام إشكالية البنية و القراءة، د. طيب تيزيني، دار الينايع دمشق سوريا  
ط2، 2008.
- <http://www.alukah.net/sharia/0/23894/#ixzz5NZeIyMEk>
- <http://www.mominoun.com/articles/%D>

